



المواطنة والهوية تحدي الانسجام في العالم العربي المعاصر

(ب): رحابي جميلة، جامعة وهران 2 / الجزائر

مختبر الأبعاد القيمية للتحويلات الفكرية والسياسية بالجزائر

rahabi.philo@hotmail.com

تاريخ النشر 2020-04-10	تاريخ القبول 2019-06-25	تاريخ الارسال 2019-05-14
------------------------	-------------------------	--------------------------

ملخص المقال:

– المواطنة هوية جماعية تضم كل أفراد المجتمع، حيث يضمن هذا المجتمع تماسكه واستمراره. ولأجل ألا يدخل في أزمة هوية عليه بالبحث مرجعية اجتماعية تتلاءم وأهدافه وطموحاته، وعليه أن يتفادى عامل الإنفتاح الذي أدى إلى إغراق القيم التقليدية بالنماذج الغربية. إن المواطنة دعامة إضافية للهوية وإمتداداً لها، والهوية أساس الوطنية السليمة فهي تمتلك خاصية فهم العالم وإستعادة التوازن الضائع بين الفرد والجماعة.

الكلمات المفتاحية: المواطنة؛ الهوية؛ الإنفتاح؛ التنوع الثقافي؛ الإنتماء

ثانياً: باللغة الإنجليزية:

– Citizen collective identity comprising all members of society as ensure that this society its cohesion and continuity. And for don't go into crisis of identity, looking for social reference adapted and goals and aspirations. This would avert factor open that led to dumped traditional values models western. That Citizenship mainstay further identity this stretch, and identification foundation sound national, they have feature understand the world, and restore the balance wasted between the individual and group.



Keywords : Citizenship; Identity; Openness; Cultural Diversity; Affiliation

مقدمة:

تتخذ المواطنة من المرجعية الفلسفية بُعداً أساسياً لها بما يمنحها هذا البُعد من مفاهيم الحرية والخير والحق والوجود المشترك... وغيرها، ولقيامها على أبعاد عديدة فقد آثرنا تناول هذا البُعد الفلسفي والقيمي منها مادامت المواطنة إنتاجاً ثقافياً إنسانياً بدرجة أولى، خاصة أن مطلب تعزيز دولة المواطنة في العالم العربي يُعد مؤشراً هاماً على دعوة المواطن للظهور على الساحة مُطالباً بحقوقه التي تكفلها الدولة بإعتبارها وسيلة لخدمة المواطنين وقد كان هذا التحول في البدان العربية بسبب أشكالٍ من الصراع والثورة لكن معالمة لم تتضح بشكل جيد إلى الآن.

لهذا كان لا بُد من التوقف بالدرس عند معالم بناء الهوية العربية الأصيلة القادرة على إستنهاض القيم في شكلها الديمقراطي والدفع للنهوض بكل القوى الإجتماعية في عملية التنمية الشاملة. فكيف السبيل للحفاظ على الهوية العربية المعاصرة وتطويرها في ظل المواطنة والتعدد الثقافي؟

عززت فكرة الإنتماء منذ القديم في الإنسان الحرص على بناء التكوين الإجتماعي القائم على أساس مختلف العلاقات الإنسانية المتبادلة ذات الأسس المتينة، وقد تم هذا بفعل ظهور المجتمعات البشرية التي دفعت بالإنسان للتمسك بإنتمائه للجماعة أي بإنتمائه للوطن. هكذا ظهرت "المواطنة" كمفهوم سياسي إجتماعي معاصر يَدُل في معناه العام على العلاقة القائمة بين كلٍ من الفرد والدولة وبين الفرد وسائر المجتمع، حيث يكون الفرد مُهتماً بشؤون بلاده ومُخلصاً لها وفاعلاً فيها. إنها - المواطنة - جُملة من الحقوق السياسية والإقتصادية والإجتماعية وحتى الحُرّيات المدنية التي يكتسبها الفرد قانونياً وفعلياً من خلال عضويته في مجتمع معين وعلى قاعدة المساواة بين الأفراد¹.

¹ - طاهر، محمد وليد وآخرون، المواطنة وحقوق الإنسان، مراجعة: مصطفى النشار، قطاع الكتب "وزارة التربية والتعليم"، مصر د(ط)، 2013، ص ص 2، 3.



وعلى نحو مماثل، فإن فكرة المواطنة في أدق معانيها تُشير إلى فكرة المشاركة السياسية، وحتى حق المساهمة في تشكيل الإرادة العامة، ومنه فهي تُشكّل الخاصية القانونية للفرد الذي يتمتع بحقوق يقوم في مُقابلها بأداء مجموعة من الواجبات، وعلى أثر الإعتراف بالحقوق الإقتصادية والسياسية في دول القرن العشرين خاصة -وبالتقريب منذ عام 1945- أدى إلى ظهور "المواطنة الإجتماعية" لتُصبح القضايا الإجتماعية بُعداً أساسياً للمواطنة¹. ومنه فضلاً عن ذلك فقد أصبحت المواطنة حاجة ضرورية وهامة وقد لَمِست حتى الجانب الوجداني الشعوري للفرد، فالقول بالوطنية إشارة واضحة لِلتَمَسُّك بِحُبِّ الوطن وما يترتب عنه من ولاء ومحبة لهذا الوطن وما يتطلبه من تكاثف للمجهود في جميع الحالات والأوقات. ومنه فقد تأثر مفهوم المواطنة عبر العصور بمدى التُضج السياسي والرقي الحضاري وأيضاً بالتطور السياسي والإجتماعي وبعقائد المجتمعات وقيم الحضارات والمتغيرات العالمية الكبرى².

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن دلالة المواطنة بما سلف ذكره تشمل أيضاً تحدد معايير السلوك في بُعديها "الأخلاقي والإجتماعي" والتي يتوقعها كل مجتمع من مواطنيه، ومنه يكفُل هذا المجتمع جُملة من الحقوق والواجبات لمواطنيه، وعلى أساسها يُشكّل سلوك كل مواطن مجالاً واسعاً من البحث والنقاش وحتى الجدل في الحياة العامة، أي أنه إذا تعلّم الشخص كيف يحيا كمواطن مُتفاعل ومشارك وواعٍ، فإن ذلك سوف يؤدي إلى أن يُشارك بفعالية في الحياة العامة لتصبح هذه المشاركة أكثر من مشاركة، أي أسلوب حياة³.

ويتضح لنا مما تقدم، أن المواطنة تمتلك القُدرة على المساهمة بقيمتها في روابط الإلتزام وتعزيزها لدى جميع الأفراد وهذا لضمان المساواة التامة بينهم من جهة، ولفسح المجال لإسهاماتهم في صناعة القرارات المتعلقة بحياتهم من جهة ثانية، وذلك بهدف ضمان إستقرار الدولة ورفعتها وتقدمها، وهي في

¹ - ولديب، سيدي محمد، الدولة وإشكالية المواطنة "قراءة في مفهوم المواطنة العربية"، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، ط1، 2010، ص ص 49، 50.

² - كاظم، ناثر رحيم (العولمة والمواطنة والهوية "بحث في تأثير العولمة على الإلتزام الوطني والمحلي في المجتمعات")، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد 01، المجلد 08، العراق، 2009، ص ص 256، 257.

³ - فوزي، سامح، المواطنة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، مصر، ط1، 2007، ص ص 15، 24.

المقابل تضمن له كافة حقوقه في الوقت الذي يؤدي واجباته فيها، وعلى إثر هذا تتضح الأهداف المشتركة بين الفرد والغير وتتوافر المساواة بينهما من خلال مبادئ النظام الديمقراطي وقواعده. لتتجلى فوائد المواطنة ولعل من أهمها أن "يعيش المواطن مُتّمياً لا مُنعزلاً، مشاركاً وليس مُتفَرّجاً، وهذا يعني أن المواطنة تبعث في الفرد من خلال المساواة وحقوق المشاركة في الشأن العام وتطوير جودة الحياة الثقة في النفس"¹. يقول "ألكسيس دي توكفيل" (1805-1859) Alexis de Tocqueville في شأن ما تقدم: "المواطنة هي الانخراط الحر والواعي لإدارة الشأن العام، وهذه الرغبة هي التعبير المشترك عن أهداف واحدة، قد يعجز الفرد الواحد عن إنجازها خاصة أن الدولة الحديثة قد إستطاعت بفعل فكر الحداثة أن تُركّز على الفرد بإعتباره قيمة أساسية في الفعل الديمقراطي"².

وفي شأن علاقة المواطنة بالديمقراطية، قال "أرسطو طاليس" (384-322 ق.م) Aristote قديماً: "إنّ المواطن الحق هو مواطن الديمقراطية على إعتبار أنّها هي النظام السياسي الذي يُتيح المشاركة السياسية لجميع المواطنين ويتبع تداول السلطة بينهم"³. هكذا تفسح المواطنة المجال لمواطنيها لتطوير الحياة داخل المجتمع، فمن خلال إمكانياتهم ومواهبهم وأعمالهم وكذا إنتاجاتهم في الكثير من الميادين تتنوع الرؤى وتختلف الآراء، حيث يُصبح التنوع ميزة وتعدّد الآراء سبيلاً لتسهيل رؤية الحقيقة على أصحاب القرار، ومن ثمة إحتساب وجهة نظر الآخر والإهتمام بها... هكذا تتجسد المواطنة على أرض الواقع حين يعي مواطنوها قيمة مشاركتهم في الشأن العام، وأما إحترام المواطن لدوره في المجتمع فيستند إلى قدرته على ممارسة "النقد" أي القدرة على تحليل واقعه كما يجب⁴.

وهكذا تُصبح علاقة الفرد بمختلف الجوانب الحياتية مُستندة في الأصل إلى نظرة هذا الفرد بشكل دقيق إلى كل ما يدخل تحت مُكوّن ماهية الذات من قبيل الكون والحياة وحتى الأشخاص

¹ - فوزي، سامح، المواطنة، ص 60.

² - نقلاً: محمد الأمين، دوقاني (تصورات المواطنة في الفكر العربي الإسلامي)، مجلة الحوار الثقافي وفلسفة السلم، العدد 09، مستغانم (الجزائر)، ربيع وصيف 2016، ص 22.

³ - نقلاً: محمد وليد، طاهر وآخرون، المواطنة وحقوق الإنسان، ص 5.

⁴ - فوزي، سامح، المرجع السابق، ص 62-70.



باعتبارهم الأنا الآخر وعن نظرهم كذلك إلى ذات المكونات. فيصبح من الضروري للشباب العربي المسلم، أن يعرف ما معنى أن يكون عربياً مُسلماً من الناحيتين "الإجتماعية والثقافية" وما يُمليه عليه هذا الإنتماء وما يشترطه عليه من حسم علاقاته ومواقفه، فضلاً عن أسس وفضاءات توظيف وإستثمار أوقاته وإبداعاته ومهاراته أيضاً¹. وليس هذا فحسب، فلقد "أصبحت المواطنة بما يترتب عليها من واجبات وحقوق للمواطنين مقولة مركزية للديمقراطية ومُقوِّماً أساسياً من مقومات الحداثة السياسية والإجتماعية. بل إن حُلُو دستور أية دولة من الإشارة الواضحة إلى هذه الحقوق وضرورة صيانتها والمحافظة عليها يُعد من منظور الأخلاق الديمقراطية مُخالفة قانونية وسياسية وإنتقاصاً من مشروعية السلطة ذاتها. علماً أن هذه الحقوق والواجبات تختلف باختلاف إديولوجيات الدول والإشكالات السياسية والثقافية والإجتماعية التي أثارها المواطنة تاريخياً"².

وفي سياق ذي صلة، وللاقترب أكثر من موضوع مقالنا يُمكننا القول أنه وفي الوقت الذي نشهد فيه توسُّعاً عالمياً لدلالة المواطنة بإتجاه حقوق جديدة. يُمكننا أن نلاحظ كيف أن قيم المواطنة وشروط ممارستها تكاد تكون غائبة في المجتمعات العربية بسبب بعض العوائق السياسية والدينية والإجتماعية، وبالتالي فإن مُواكبة البلدان العربية للتحوُّلات العالمية لا يمكن أن يتحقق دون وجود إمكانيات فعلية لضمان ممارسة حقوق المواطنة كاملة. ومنه فإن هذه الممارسة لا بُد أن يُنظر إليها على أنها حُطوة بعدية ومُتمِّمة للقيم الإجتماعية العربية وكذلك لثوابت الهوية العربية. لأن هذه الأخيرة تشتمل على معطيات قبلية غير قابلة لأن تتكيف بسهولة مع ما أسميناه سابقاً بالحقوق البعدية للمواطنة. وإجتماعهما معا يُراعي لا محالة خصوصية الإجتماع العربي الذي يؤمن بالتعدُّد والإختلاف ضمن الأمة الواحدة³.

¹ - بدوي، محمود الشيخ، الهوية، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2009، ص 3.

² - ولديب، سيدي محمد، الدولة وإشكالية المواطنة، ص 10.

³ - المرجع نفسه، ص ص 164، 165.



فالمواطنة تُعبّر إذا عن مُختلف معايير الانتماء ومُستوى المشاركة التي يُقدّمها الأفراد تجاه الوطن. فتُعبّر عن مدى وعيهم بما لهم وما لغيرهم، كما تعكس أيضًا إدراك المواطن لدوره في مُواجهة التحديات التي يلقاها مجتمعه، ومنها العولمة كما تقدم الذكر حيث أدت هذه الأخيرة إلى تراجع الخصوصية لحساب العالمية سائرة نحو الذوبان الثقافي والسياسي والمعرفي والإنطلاق نحو القرية الكونية. لذلك تشهد قيم المواطنة تحديات قوية ضد المعايير وقواعد السلوك والضبط الاجتماعي، فتشهد كل من الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام التحدي الأقوى لدعم قيم المواطنة وتعزيز قيم المجتمع¹.

كذلك يبدو أن وضعًا كهذا يدفع لا محالة للإستفهام عن واقع العالم العربي والذي أضحي في حاجة إلى الكثير من إمكانيات النهوض وإعادة الإصلاح والبناء خاصة في توضيح دور الديمقراطية في تعزيز حقوق المواطنة، وعما إذا كانت العولمة كعامل آخر قادرة على الدفع بالإصلاحات الديمقراطية في العالم العربي إلى الأمام². فقد رفض الكثيرون الدور الإيجابي لها من منطلق أن العولمة "تعني نفي الآخر، وإخلال الإختراق الثقافي والهيمنة وفرض نمط واحد للإستهلاك والسلوك، فبالرغم مما قد يبدو إسهاما للعولمة في تكريس المواطنة في أنها تدفع بالمزيد من الحرية في الفعل والتنقل والتعبير ولأنها تنحو بجهة تسييد الإنفتاح والديمقراطية، لكن عوامل التضاد والممانعة بين العولمة والمواطنة العالمية هي أقرب إلى التكريس منها إلى عوامل الإلتقاء والتكامل"³.

وهذا معناه أنه ولتثبيت أسس ثقافة المواطنة إستنادا إلى هذا الفهم يتطلب الأمر إذن تواجد ثقافة سياسية تُؤمن وتؤسس لمنظومة القيم الديمقراطية، لا كشعار أو مُجرد مطلب اجتماعي أو حتى سياسي، وإتّما إلى واقع سَبَق وأسميناه بالعابر للإختلافات، إختلافات التجربة الحياتية المشتركة لجميع الأفراد. ولعل من المفيد القول أن المواطنة بمعناها المعاصر لا تحظى بالإهتمام الكبير في الفكر العربي

¹ - الخليف، شروق بنت عبد العزيز، بن خليفة، إسماعيل محمد، المواطنة وتعزيز العمل التطوعي، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، الرياض (السعودية)، د(ط)، 2013، ص 7.

² - ولديب، سيدي محمد، الدولة وإشكالية المواطنة، ص 170، 171.

³ - براسنان، إشكالية المواطنة "الرعية في التراث السياسي الإسلامي"، المركز العربي الديمقراطي للنشر، ألمانيا، د(ط)، 2016، ص 36، 38.



كما هو الحال في المفاهيم المرتبطة بالديمقراطية، من قبيل الديمقراطية ذاتها وكذلك الهوية، وهذا يعني ضعف تمييز الإنسان العربي بين هذه المفاهيم من ناحية وأيضاً حول مدى قدرة الفكر العربي على تقبل وإستيعاب قيم المواطنة ومبادئ الديمقراطية.

وعلى هذا إعتبر بعض المفكرين والباحثين أن الفكر العربي قد أصبح يُعاني من الخلل الوظيفي للمجتمع ومن الحتمية الثقافية والصرامة السياسية، ومنه فالمنطقة العربية تحتاج قدر الإمكان إلى الإصلاحات الديمقراطية نظراً لكونها عصية على العملية الكونية للديمقراطية. وبعد تقرير الفكرة وتكرارها يُمكننا القول أن لمشكلة العالم العربي تفسيرٌ بسيط فكل ناظرٍ لواقع هذا العالم قيد الحديث سواء في أشكاله أو أبعاده المختلفة أو في قيمه الدينية والاجتماعية، فهي بعيدة ومختلفة عن تلك الموجودة في العالم الغربي. بالإضافة إلى ضعف أسس العالم العربي الاقتصادية والاجتماعية. غير أن الدافع نحو التغيير لا يُمكن الحكم عليه بالمستحيل أو المنعدم، وإنما بإمكان كل دولة عربية مراجعة أسسها وإخضاعها للنقد ومن ثم لشروط الإصلاح في شكلها العربي الخالص، ووعي كهذا من شأنه توضيح وتعزيز حقوق المواطنة في المجتمعات العربية ودفع الإنسان العربي للتمسك بهويته¹.

والجدير بالذكر أن العلاقة بين المواطنة والهوية في المجتمع العربي يجب أن تكون قائمة على عملية التعزيز السياسي والقانوني لدور الفرد في المشاركة الفاعلة في البناء الاجتماعي، كما تكمن العلاقة أيضاً في طبيعة الولاء الاجتماعي العام الذي يتميز به الفرد في الحياة الاجتماعية ومنه لا غنى عن هذه العلاقة لأن المواطنة ذاتها هي هوية جماعية ينطوي تحت لوائها جميع أفراد المجتمع لضمان التماسك لهذا الأخير وبالتالي لإستمراره². وهذا لأن المشكلة الأساسية هنا هي أن المشروعات السياسية لم تُعد تستهوي الشباب أو تنال قدراً من اهتماماتهم -رغم أن هذه الشريحة في دول الغرب كانت حاضرة متفاعلة في إنضاج التجارب الديمقراطية في دولها- وكأن الهوية الوطنية ضاقت عن استيعاباتهم، فإختاروا هويات جديدة من صنعهم، أقل ما يُمكن وصفها بالهويات التفكيكية تُبعثر أكثر مما تجمع وتجعل الأناية

¹ - ولديب، سيدي محمد، الدولة وإشكالية المواطنة، ص 172 - 194.

² - كاظم، ثائر رحيم، العولمة والمواطنة والهوية، ص 253، 267.



الفردية أقوى من التكامل الجماعي. والحقيقة تتطلب التلازم بين الوطنية والديمقراطية كعامل قوي لجذب الشباب¹.

ومن المعلوم أن الشباب اليوم قد أصبحت سمة عدم الاستقرار تطبع واقعه وبالتالي تؤثر سلبا على هويته الاجتماعية مما يطره للبحث عن مرجعيات إجتماعية يستمد منها هويته وينتج من خلالها سلوكياته، ومنه كلما إستقر المجتمع على مستوى الخطاب والمفاهيم، إستقر الشباب على هوية ثابتة تتحدد من خلالها علاقته مع أفراد مجتمعه ومن خلالها يتبنى مفهوم المواطنة، لأجل ألا يدخل في أزمة هوية من خلال بحثه عن مرجعية إجتماعية تتلاءم وأهدافه وطموحاته، لذلك يُمكننا أن نلاحظ بسهولة أن أزمة الهوية التي نعيشها اليوم ترجع بالضرورة إلى عامل الإنفتاح الذي خلف آثار ثانوية مرفوضة لدينا وأهمها إغراق القيم التقليدية بالنماذج الغربية². ويظهر بما تقدم أن المواطنة ليست بديلا عن الهوية، كما لا تعني أيضا التفاعل الإجباري بين الهويات أو هيمنة إحداها على الأخرى، وإنما تُعد المواطنة دعامة إضافية للهوية وإمتداد لها، أي لا يمكن لحق من حقوق المواطنة أن يُحل محل حق من حقوق الهوية. فعلى سبيل المثال لا يمكن لحق "حرية التعبير" باعتباره حقا من حقوق المواطنة أن يُشرع لإنتهاك الرموز والشعائر الدينية مثلا³.

ومن المفيد القول أن المواطنة دليل عملي لتفعيل الهوية في المجتمع، فالعيش في مجتمع آمن وينعم بالإستقلال الفكري والثقافي يُحتم الحفاظ على الهوية الثقافية، وهذا لا يتحقق إلا من خلال المشاركة الفعالة في جميع ميادين هذا المجتمع - خاصة العربي منه - الفكرية الاجتماعية والإقتصادية وحتى السياسية. وحين يتحقق ذلك تبرز الهوية الفردية في المجتمع وتحدد ملامح هذا المجتمع من خلال إبداعات أبنائه وإنتاجاتهم الفكرية والعملية⁴. ثم إن المواطنة تُفيد في معناها صفة الفرد الذي يعي حقوقه

¹ - فوزي، سامح، المواطنة، ص 51.

² - زعاف، خالد (الهوية والمواطنة عند الشباب)، مجلة الحوار الثقافي وفلسفة السلم، العدد 10، مستغانم (الجزائر)، خريف 2016، ص 144، 146.

³ - ولديب، سيدي محمد، الدولة وإشكالية المواطنة، ص 67.

⁴ - الخليف، شروق بنت عبد العزيز، بن خليفة، إسماعيل محمد، المواطنة وتعزيز العمل التطوعي، ص 73.



وكذلك مسؤولياته اتجاه مجتمعه، ويسعى للمشاركة بفعالية في إتخاذ القرارات وحل المشكلات التي تُواجه مجتمعه هذا، وبالتالي التعاون مع الآخرين ونبذ العنف والتطرف في التعبير عن الرأي والتفكير الناقد، وبالمقابل تكفل له الدولة تحقيق العدالة والمساواة. ولهذا يبدو سؤال الهوية حاضرا بقوة في الأقطار العربية خاصة مع تزايد وتيرة العولمة بمختلف تجلياتها ونظرا لضعف الإسهام العربي في حركية العولمة وتدفعاتها، فهذا العالم إذن مُطالب اليوم بدراسة مفهوم الهوية وفق رؤية جديدة تفتح بإتجاه المستقبل أكثر من إنغلاقها على الماضي. كما أن لموضوع الهوية أهمية فُصوى لأنها أساس الوطنية السليمة، والهوية ممارسة حياتية تتطلب عدة مستويات أهمها الوعي بالذات والإحساس بالخصوصية والتزود بالإرادة لكي لا تصبح القضية في كيفية اللحاق بالغرب وتكرارهم، بل في كيفية فهم ذاتنا لكسب حقوقنا وتحديد حضورنا على المستوى العالمي بروح التعاون والسلام¹.

ومن الواضح أن "الهوية العربية لا تتعارض مع قيم المواطنة، فهي الشرط القبلي لأية مواطنة عربية حقيقية، ومن خلالها يرى الإنسان العربي بوضوح الصورة الواقعية لماهية تراثه ولما ينبغي أن يكون عليه سياسيا وإجتماعيا وثقافيا. وليست المواطنة بديلا عنها، فكلاهما مُكمّلة للأخرى وبدون هذا التكامل تتحول المواطنة إلى شعارٍ مُضلل يحجب رؤية الواقع على ما هو عليه، ولا يحدث ذلك في الغالب إلاّ عندما تتحول الهوية إلى مقولة إيديولوجية والمواطنة إلى أداة سياسية والهدف منها تحييد الهويات الأخرى أو إفراغها من مضمونها الحضاري"². ويبدو أنه "لا سبيل للخلاص من آفات الحاضر، من دون تفكيك الموروثات الثقافية والدينية البائدة وبناء مواطنة جامعة وحاضنة للتنوع، ولا سبيل لمستقبل مُغاير من دون تغيير جذري في السياسة العربية، يعرّى التنوع المجتمعي ويُعيد الاعتبار إلى المواطن العربي وإلى قيم المواطنة الحاضنة لمفهوم التعددية سياسية كانت أم مجتمعية"³. وعليه يظهر بوضوح

¹ - الكندري، لطيفة حسين، نحو بناء هوية وطنية للناشئة، المركز الإقليمي للطفولة والأمومة، الكويت، ط1، 2007، ص 45-54.

² - ولديب، سيدي محمد، الدولة وإشكالية المواطنة، ص 85.

³ - يحيى، مهى، وآخرون، المواطنة والمكونات المجتمعية في المنطقة العربية، مراجعة: أيمن عبد المعطى، روافد للنشر والتوزيع مصر، ط1 (2015)، ص 11.



كيف تُسهم الإحداثيات الجغرافية أو حتى الأحداث إقتصادية كانت أو إجتماعية في تشكيل الهوية ومن ثم صياغة المواطنة ورسم صورة الواقع وأبعاده، كما أنها تؤثر في موضوع التعددية والوحدة الوطنية، وهذه الوحدة الوطنية متصلة بالزمن في أبعاده الثلاث، فإرتباطها بالماضي لإعتمادها على الجذور الثقافية وأما الحاضر فنسبة لإرتباطها بالإحتياجات المعيشية والمجتمعية الحاضرة والتحديات الآنية وبالمستقبل كذلك لأجل الآمال والتطلعات المشروعة للشعوب والمجتمعات¹.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن "الهوية هي النوع أو الجوهر أو الماهية التي تُكرّر نفسها من خلال الأعراض المؤقتة، إنها "لوغوس الكثرة" ففيها تلتقي كل ضروب الأزمنة وأبنية الأنا الفردية والجماعية... إن كل هوية تُحِل في الوقت نفسه إلى ذاتها أي إلى الفردية، أما التخلي عن رهان الهوية فهو بمثابة التخلي عن المعاني الغائرة في عمق التجربة الإنسانية. ولهذا يمكن القول إن الآخرين يَحْيُون فينا كما نحيا بدورنا فيهم"². وهذا معناه أن "الهوية ليست إلا حُب الوطن، بمقابل القومية التي تعني حُب الأمة، وعليه فالهوية تتجسد في إرتباط الفرد بقطعة من الأرض تُعرف بإسم الوطن، أما القومية فتتمثل في إرتباط الفرد بجماعة من البشر تُعرف بإسم الأمة، وحُب الوطن ذاته يتضمن حب المواطنين الذين ينتمون إلى ذلك الوطن، كما أن حب الأمة يقتضي حب الأرض التي تعيش عليها تلك الأمة"³.

توصف الهوية بما تقدم بالكائن الحي والسيرورة المتحركة، بل وإرادة فعل وهيمنة كما أنها ليست عملية مغلقة أو ثابتة ولا حتى إراثاً جامدا لا يخضع لعامل التغير، وإتّما هي في التحليل النهائي عملية إبداع مُستمر للفرد وللمجتمع بموارده الثرائية، هذه الموارد التي تُنمّيها أكثر مختلف التنوعات القائمة بصورة واعية ومقصودة. ولهذا تقبل الهوية الإسهامات الوافدة إليها من الخارج بإستيعابها وتحويلها عند

¹ - حريز، سيد حامد، الهوية والوحدة الوطنية في السودان "جدلية الثقافة والسياسية"، الدار العالمية للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 2017، ص 23، 51.

² - بن تمسك، مصطفى (في التأصيل المفهومي للهوية)، مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط (المغرب)، ماي 2016 ص ص 16، 17.

³ - الكندري، لطيفة حسين، نحو بناء هوية وطنية للناشئة، ص 53.



اللزوم، لأنها ترفض الإنطواء على المكتسبات ولا تقبل أن تنغلق على نفسها¹. ومن الملاحظ أن الهوية كدلالة وجودية تظهر في كل المجالات المعرفية وتمتلك خاصية فهم العالم بما يشتمل عليه من كينونات الأنا والآخر، وهكذا شيئاً فشيئاً "تسعى الذات العربية الحديثة للتحرر من ثقل الهويات الجاهزة لتُصبح المسيطر الرئيسي على ذاتها وعلى العالم، وعليه يسعى خطاب الهوية في إنفتاحاته المختلفة إلى إستعادة التوازن الضائع بين لحظة الفرد الممكنة ولحظة الجماعة الدائمة"². لتكون الهوية في الأساس "دعوة إلى حماية الإنسان وصيانتته، وذلك بتحقيق إنسانيته ضد كل أشكال الإقصاء من مجال الإبداع وتحقيق الأمل في العيش المشترك، إنها شكل أساسي من أشكال المقاومة. إن التنوع والتعدد مقصدان في غاية الأهمية يجب أن تُحققهما الهوية وتُراعيهما"³.

وعلى سبيل الإجمال يمكن القول إن المواطنة تهدف إلى إظهار التفاعل الإيجابي للمواطن ومشاركته العملية الفاعلة في الدفاع عن وطنه وتطويره، والإعتزاز بتاريخ مجتمعه وأمته، فهي مقولة مركزية للديمقراطية ومُقوم أساسي من مقومات الحداثة السياسية والاجتماعية. وقد لاحظنا كيف أن قيم المواطنة وشروط ممارستها تكاد تكون غائبة في المجتمعات العربية، مجتمعات تحتاج إلى الكثير من إمكانات النهوض وإعادة الإصلاح والبناء، لذلك عليها العمل على عدم الإهتمام بالمرجعيات الغربية، فالمواطنة دعامة للهوية وإمتداد لها ودليل عملي على تفعيلها في المجتمع. كما أن الهوية كدلالة وجودية تظهر في كل المجالات المعرفية وتمتلك خاصية فهم العالم بما يشتمل عليه من كينونات الأنا والآخر، كما تقبل الإسهامات الوافدة إليها من الخارج بإستيعابها وتحويلها عند اللزوم لأنها ترفض الإنطواء على المكتسبات كما لا تقبل الإنغلاق على نفسها.

فائمة المراجع:

- ¹ - زاهر، ضياء الدين، اللغة ومستقبل الهوية، "التعليم نموذجاً"، وحدة الدراسات المستقبلية، مكتبة الإسكندرية، مصر، سلسلة أوراق العدد 24، 2017، ص 11.
- ² - بن تمسك، مصطفى، المرجع السابق، ص 21، 22.
- ³ - شهيد، محمد (في قضية الهوية "إلتباس المفاهيم عند الإسلام السياسي")، مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط (المغرب)، ماي 2016، ص 28.



- 1) بدوي، محمود الشيخ، الهوية، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2009.
- 2) براسنان، إشكالية المواطنة "الرعية في التراث السياسي الإسلامي"، المركز العربي الديمقراطي للنشر، ألمانيا د(ط)، 2016.
- 3) ولديب، سيدي محمد، الدولة وإشكالية المواطنة "قراءة في مفهوم المواطنة العربية" دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، ط1، 2010.
- 4) حريز، سيد حامد، الهوية والوحدة الوطنية في السودان "جدلية الثقافة والسياسة"، الدار العالمية للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 2017.
- 5) طاهر، محمد وليد وآخرون، المواطنة وحقوق الإنسان، مراجعة: مصطفى النشار قطاع الكتب، مصر د(ط)، 2013.
- 6) يحي، مهى وآخرون، المواطنة والمكونات المجتمعية في المنطقة العربية، مراجعة: أيمن عبد المعطي، روافد للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2015.
- 7) الكندري، لطيفة حسين، نحو بناء هوية وطنية للناشئة، المركز الإقليمي للطفولة والأمومة، الكويت، ط1 2007.
- 8) فوزي، سامح، المواطنة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، مصر، ط1، 2007.
- 9) الخليف شروق بنت عبد العزيز، بن خليفة، إسماعيل محمد، المواطنة وتعزيز العمل التطوعي، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، الرياض (السعودية)، د(ط)، 2013.

الدوريات والمجلات:

1. بن تمسك، مصطفى (في التأصيل المفهومي للحرية)، مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث الرباط (المغرب)، ماي 2016.
2. دوقاني، محمد الأمين (تصورات المواطنة في الفكر العربي الإسلامي)، مجلة الحوار الثقافي وفلسفة السلم، العدد 09، مستغانم (الجزائر)، ربيع وصيف 2016.



3. زاهر، ضياء الدين (اللغة ومستقبل الهوية "إلتباس المفاهيم عند الإسلام السياسي") مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط (المغرب)، ماي 2016.
4. زعاف، خالد (اللغة ومستقبل الهوية "التعليم نموذجاً")، سلسلة أوراق، العدد 24 وحدة الدراسات المستقبلية مكتبة الإسكندرية، مصر، 2017.
5. كاظم، نائر رحيم (العولمة والمواطنة والهوية "بحث في تأثير العولمة على الإلتقاء الوطني والمحلي في المجتمعات")، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد 1، المجلد 8، العراق، 2009.
6. شهيد، محمد (في قضية الهوية "إلتباس المفاهيم عند الإسلام السياسي")، مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط (المغرب)، ماي 2016.